مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الصراع الإيراني الإسرائيلي وحتمية المواجهة

حميد رضا إبراهيمي

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

ترجمة: مرتضى ناصر

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

الصراع الإيراني الإسرائيلي وحتمية المواجهة

حميد رضا إبراهيمي *

لا شك أن أحداث السابع من تشرين الأول/اكتوبر، والتي أنجبت (طوفان الأقصى) شكلت نقطة عطف وتحول في استراتيجية التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، ومن هنا وفي ظل تلك الظروف والتحولات فإن تحول نشاط الجهات الفاعلة والمؤثرة على المدى المتوسط والبعيد سيكون حتمياً.

في فترة تاريخية محددة، واجهت إسرائيل هجمة فريدة نوعاً ما، وصلت إلى أعماقها الحيوية، مما أدى إلى فقدان جزء من أراضيها لعدة أيام وخسائر بشرية كبيرة بين المدنيين وبعض القادة العسكريين، وهذه التطورات قد تؤدي إلى اندلاع مواجهة مباشرة بين إسرائيل من جهة وإيران وحزب الله اللبناني من جهة أخرى، بما أن عدم عودة حزب الله إلى حدود ما قبل نهر الليطان سيجعل إسرائيل تحت تهديد محتمل، مشابهاً لأحداث «طوفان الأقصى». ومن الطبيعي توقع تبعات أكبر لمثل هذه الأحداث.

وفي سياق آخر، يبدو أن التهديد النووي الإيراني لإسرائيل لم يعد ذو طابع متكرر كما كان في السنوات الأخيرة. فبعد أحداث السابع من تشرين الأول/أكتوبر، بدأت قيادات إسرائيل تنظر إلى الأمر بحساسية متزايدة وبمنظور مختلف. وفي غياب حركة سياسية لحل الأزمة النووية الإيرانية، يبدو أن الصدام المباشر بين الطرفين أصبح مسألة وقت فقط، ومن المرجح أن يندلع في وقت قريب.

الصراع الملتوي والمرير بين إيران وإسرائيل بعد أحداث السابع من تشرين الأول/اكتوبر قد استنفذ جميع مراحل المواجهات غير مباشرة، ولم تعد هناك مساحة كافية لاستدامتها، إذن سيتوجه الطرفان لمواجهة واسعة النطاق، كما أن توقيت الصدام الواسع سيعتمد كثيراً على الجهة المسؤولة عن إدارة الملف الإيراني في البيت الأبيض، إذ أن الولايات المتحدة، وعلى المستوى الداخلي غير متفقة نظرياً حول كيفية إدارة الملف الإيراني وملفات الشرق الأوسط بشكل عام، وأن مسك أي طيف سياسي لزمام الأمور، ممكن أن يدفع بالملفات المتعلقة إلى اتجاهات بعيدة ومعاكسة لما يراه الطرف الآخر.

كما أن وصول أي فرد من الحزب الجمهوري لرئاسة البيت الأبيض من شأنه أن يكون بحد ذاته دافعاً ومحفزاً لنشوب صراع إيراني إسرائيلي، وتضاؤل فرص التوصل إلى اتفاق سياسي شامل

* باحث أول في قضايا حقوق الإنسان في الشرق الأوسط، ومختص في العلاقات الإيرانية العراقية.

بينهما، فوجود مثل هكذا شخص سيبعث رسالة إلى المنطقة والجهات الفاعلة برمتها بولادة حقبة سياسية جديدة، وأن عصر المماشاة والترضية ولى وانتهى. ونتيجة لذلك ،ستكون المنطقة أكثر حذراً، لكن هذا الحذر لن يمنع من وقوع صدام مباشر، بل من الممكن أن يؤخره تصل أربع سنوات على الأقل.

إن الصراع بين الأطراف المتنازعة في الشرق الأوسط في نيسان/أبريل 2024 وصل إلى مستوى متقدم جداً، بحيث يمكن القول إن تحذيرات فردية لرجل مثل ترامب هي وحدها القادرة فقط على تخفيف حدة التوتر.

أما إذا تسلم الطيف اليساري السياسة الخارجية في الحزب الديمقراطي زمام إدارة ملف الشرق الأوسط، والتي هي بقيادة «طوني بلينكن»، فمن المنتظر أن تشهد المرحلة تأخيراً للصدام وموازنة القوى، إلا أن هذا الطيف السياسي لن يستطيع إيقاف اشتعال الشرارة بمفرده، كما لم يكن باستطاعته إيقاف الرد الإسرائيلي المباشر على الضربات الإيرانية الثقيلة في عمق الأراضي الإسرائيلية قبل أيام، وكما هو معلوم، فإن رؤيته لإدارة السياسة الخارجية مخالفة لرؤى الحزب الجمهوري المنافس، وحتى مخالفة أيضاً للسياسات الكلاسيكية للديمقراطي نفسه، ذلك لأنه لا يعتقد بحقانية مطلقة الكيان الإسرائيلي بحرب غزة، وفي الوقت الذي لا يؤيد به السقوط الكامل لغزة وانهيارها، لا يعتقد أيضاً بالملازمة الذاتية بين سقوط غزة ونهاية حماس، كما يذهب إلى أبعد من ذلك في أن وجود حماس كقوة ضاغطة باتجاه تشكيل الدولتين في الأراضي المحتلة، وأما في الملف الايراني، فيرى الطيف اليساري أن الدفاع ضد الهجمات الإيرانية أمر ضروري دون الذهاب إلى وسائل الرد أو الهجوم المتبادل، إضافة إلى أنها لا تؤيد الهجوم على لبنان، وباختصار لا يمكن اعتبار هذه الجهة مناهضة لإيران، لأنهم يدركون تماماً النفوذ الإقليمي الذي تتمتع به إيران، كما يتغاضون في بعض الأحيان عن الأعمال التي تزعزع الاستقرار، والتي تقوم بها جهات متحالفة مع طهران، مثل الهجمات التي يشنها اتباع الحوثيون على السفن التجارية في البحر الأحمر، حيث يتعاملون معها بقدر كبير من التساهل.

إلا أن مدة سيطرة هذا الطيف على السياسة الأمريكية غير محددة، وقد لا تدوم طويلاً، فبمحض انتهاء حقبته وتنسيق أطراف السياسة الأمريكية مع الطبقة المحافظة في إسرائيل، قد نشهد تشنجات جديدة والتقرب أكثر وأكثر من دق طبول الحرب بين طهران وتل أبيب.

لكن هناك احتمالاً آخر من شأنه تأخير شرارة الصدام المباشر بين المتخاصمين وهو: إما

التغير الجذري في السياسات أو تعليق السياسات العدائية، بمعنى أنه إما هيمنة الحركة اليسارية في إسرائيل، أو اضطرار اليمينيين إلى تشكيل ائتلاف هش، أو نشوء عوامل جديدة في الساحة الإيرانية كتجديد الثقة لمرشد أعلى آخر محتمل، وهذا ما سيدفع طهران إلى تهدئة اللعب إلى حين الحصول على استقرار وثبات داخلي، مما سينعكس إيجاباً على أمن المنطقة.

السيناريوهات المطروحة بعد الصدام المسلح تتضمن احتمالات عدة. فمثلاً، قد يكون الهجوم الصاروخي الإيراني على العمق الإسرائيلي قد تلقى رداً من بعض دول حلف الناتو وكذلك الأردن. في الوقت نفسه، هناك مناقشات عن دخول السعودية وتركيا في عمليات الدفاع المضادة. يشير ذلك إلى أن نظرية الدفاع عن الشرق الأوسط، التي نشأت في عهد الرئيس السابق «ترامب»، قد دخلت حيز التنفيذ. وإذا تحولت الاستراتيجية من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، فسيتطلب ذلك قراراً سياسياً. وإذا تصاعدت حدة الصراع وظهرت إرادة قوية من البيت الأبيض لمواجهة طهران، فمن الممكن أن نشهد تعاوناً إقليمياً حتى على المستوى العسكري لمواجهة طهران.

كما أن الموقف المتمثل بالجانب الروسي والصيني لا يبدو أنه سيتجاوز مستوى التدخل الدبلوماسي، فسكوت موسكو حيال هجمات إيران على تل أبيب قد برره «لافروف» للسفير الإسرائيلي بأنه جاء مقابل سكوت إسرائيل حيال الهجمات الأوكرانية، أي أنهم لن يكترثوا لضرب القنصلية الإيرانية في دمشق، وإنما فحوى الموقف متمثل برؤية أخرى.

والجدير بالذكر أن أغلب بلدان الشرق الأوسط اختارت موقف المتفرج في الصراع الدائر خوفاً من ولوج النار داخل حدودها، في حين أنها قبلت مسبقاً بالقواعد الأمريكية على أراضيها، وهذا ما يدفعها إلى أن تكون طرفاً مسؤولاً بحال انطلاق أي شرارة محتملة بين طهران والغرب، لذا ليس من المستبعد جداً وتحت تلك الظروف أن تطالب تلك الدول بضمانات أمنية طويلة الأمد من الغرب، مما ستضع علاقاتها بأمريكا تحت التأثير، ويمنحها موقفاً أقوى من السابق في بعض الملفات المرتبطة بينهما، خصوصاً فيما يتعلق بملف انتهاكات حقوق الإنسان، والذي يعتبره الغرب مشكلة الشرق الأوسط، حيث تأخذ القضية صداها الضاغط بين الحين والآخر وما زالت، وكذلك بعض المطبات الفنية والاستراتيجية التي تخص شراء بعض المعدات والآلات الغربية الحديثة، والتي من الطبيعي أن يلعب التوتر الحاصل دوراً في إسراع عملية التسليم، حيث سيسهم في إسراع عسكرة المنطقة.

وفي السياق ذاته، يبقى الملف النووي الإيراني عاملاً توتر أو التخفيف للأزمة في المنطقة

برمتها، فتصريح قائد حماية المنشآت النووية الإيرانية رداً على حصول هجوم إسرائيلي محتمل، نص على احتمالية تغيير الاستراتيجية النووية، مما يدل على أن إيران مستعدة لإنتاج السلاح النووي في حال وقعت تحت الضغط العسكري، وأن موضوع الحرب الشاملة معتمداً على السياسة الأمريكية واستراتيجيتها، فضلاً عن تحرك إيران نحو امتلاك النووي، والذي سيدفع بالشرق الأوسط إلى سباق التسلح النووي أيضاً، وهذا ما يتم طرحه فعلاً في أروقة الاجتماعات السرية بين بعض بلدان الخليج والصين وباكستان، حول إمكانية الحصول على صواريخ بعيدة المدى، وهذا ما تم التحضير له مسبقاً.

ومن الواضح أن إيران دخلت عملياً في منعطف جديد بعد سلسلة من الأحداث على الصعيد الداخلي والخارجي، ابتداءً من خروج «ترامب» من الاتفاق النووي بين إيران والغرب، والأزمة الاقتصادية لعام 2019 واغتيال قائد الحرس الثوري الجنرال «قاسم سليماني»، مروراً بالأزمة الاجتماعية لعام 2022 وانتهاء بحرب غزة، مما جعل زمام الأمور داخلياً وخارجياً بيد الخط المحافظ (اليمين)، وهو الخط الذي يميل عادةً إلى الشدة في التعامل لحفظ مصالح إيران وتحقيق أهدافها الاستراتيجية، وليس بعيداً عن استخدام القوة في سبيل تحقيق ذلك، وفي الواقع هم يذهبون إلى الهجوم كأفضل وسيلة للدفاع، وفي ظل تلك الظروف لا يمكن التعويل على القوى الأخرى في تغيير السياسة الخارجية لإيران.

وفي المقابل، فإن أحداث السابع من تشرين الأول/اكتوبر (طوفان الأقصى) دفعت بالمجتمع الإسرائيلي نحو الراديكالية، ورحلت ملف تشكيل الدولة الفلسطينية إلى الأرشفة السياسية وإلى أجل غير مسمى، في حين باتت الحركات المتشددة في إسرائيل قريبة جداً من بسط نفوذها، مما سيؤدي إلى المزيد من التصعيد بين طهران وتل أبيب، لا سيما في المناطق المحيطة بإسرائيل أي سوريا ولبنان.

وفي المحصلة النهائية يبدو أن التوتر بين الطرفين يتجاوز مساراً تصاعدياً، وأما العوامل الدخيلة في تخفيف أو تشنج الأوضاع ستكون أفضلها ترحيل الصدام المسلح إلى مديات وسطى وليست بالبعيدة، لكن في ظل غياب الحل الجذري والتطورات المتصاعدة والمتلاحقة في الشرق الأوسط، فإن المواجهة المباشرة بين الغريمين ستكون حتمية وليست بالبعيدة.